

ليشجروا اذهابهم فيها وبمحصو الحفائق بالبحث والانتقاد. وباب تدبير المنزل لربات الافلام. وعسى ان يكثر السائلون من المسائل العمومية المنيعة لهم ولسواء فيربط من الاهتمام بالاجابة عليها ما يحقق آمالم

وفي الجملة نقول ان المنتظف سيقى تاريخاً للعلم والفلسفة والزراعة والصناعة في عامنا المقبل كما كان في الاعوام السالفة وديباً نأتمسط فيه المسائل التاريخية والاجتماعية وستزبد انتقائاً وفائدة والله نسأل ان بأخذ يدنا ويوفق مفاصدنا وهو اكرم معاول

التبغ وشاربوه

بحث على فلسفي في مضارر ومناذره

التبغ نبات اميركي اكتشف اولاً في اميركا لما اكتشفها كولبس منذ اربع مئة سنة وكان الاميركيون الاصليون يستشفون دخانه باداه ذات شعبين يدخلونها في المخخين ويحونها نياكوفاً طلق هذا الاسم على النبات فهو. وجأب التبغ الى اوربا سنة ١٥٥٨ وانتشر منها في كل المسكونة وقد ارخ بعضهم دخوله بلاد المشرق بنولو

سألوني عن الدخان وقالوا هل لك في كتابنا ايام

قلت ما فرط الكتاب بشيء ثم ارحت يوم تأتي السماء

اي يوم "تأتي السماء بدخان". فان صح ما قاله هذا الشاعر فيكون التبغ قد دخل المشرق سنة ٦٦٦ للهجرة اي بعد بلرغ اوربا بنحو خمس وثلاثين سنة فقط

وقد زعم البعض ان المارقة ولاسيما الصينيين كانوا يعرفون التبغ ويستلشون دخانه قبل اكتشاف اميركا ولكن الادلة على صحة هذا الزعم ضعيفة جداً. ربما يكن من الامر فليس من المنهات والمختررات ما هو اكثر شيوعاً من التبغ فانه منتشر في كل المسكونة ومدخنيه يمدون بنبات الملايين. ودوّل الارض ترحج من المكوس التي تضربها عليه ارباحاً فاحشة فيبلغ دخل حكومة فرنسا من هذه المكوس ثلثمئة مليون فرنك او اثني عشر مليون جنيه. ودخل حكومة انكلترا تسعة ملايين ونصف مليون من المنهات ودخل النجيين به اكثر من ذلك كثيراً

ومعلوم ان عادة شاعت في اقطار المسكونة وضربت فيها اطباها وثبتت على غير الزمان ومقاومة الملوك والولاة وخدمته الدين ورجال العلم ونفأبت عليهم جميعاً وجعلتهم

من خدَمها وانصارها لحليقة بان يثبت فيها من كل وجهها بحثاً علمياً مبنياً على التجارب الكيماوية والنبولوجية وبحثاً فلسفياً مبنياً على ادق المباحث واقرى المذاهب حتى لا يبنى مجال لرأي فطير ولا ظن عقيم ولا للاحكام المبنية على استقراء قليل وتعليل سليم لان المسألة ذات بال ادياً ومالياً وصحياً

وقد وقفنا في هذه الاثناء على كلام متسهب للدكتور روشار الفرنسي احد اعضاء اكااديمية الطب بفرنسا جمع فيه زبدة النتائج وخلاصة المحقائق التي وصل اليها العلماء والفلاسفة بالبحث والامتحان واعمال الفكرة والترويح . وهو نفسه من العلماء المجرىين الذين عبدوا التبغ خمسين عاماً ثم اغتموا تنوهم من عبوديتهم وحرروا ارادتهم من طاعته وبحثوا فيه بحمت العلماء الذين الحق ضالهم لا يشدون سواة ولا يخافون في نصرته لومة لايم فاعتمدنا عليه وعلى غيره من الكتاب في سرد المحقائق التالية فنقول

يزرع التبغ في الاقاليم المعتدلة . والمشهور منه نوعان نوع كبير يبلغ ارتفاعه ست اقدام فاكثر وقد شاهدنا في القطر المصري ما ارتفاعه اكثر من سبع اقدام . ونوع صغير لا يزيد ارتفاعه على قدمين والاول اكثر انتشاراً من الثاني

وفي ورق التبغ مواد كيماوية كثيرة مما هو شائع في سائر انواع النبات كالنشأ والسكر والحوامض الآلية والاملاح والمواد النيزوجية ونحوها وفيه ايضاً مادة خاصة تسمى نيكوتينا وهي سائل زيتي شفاف لالون له اذا عرض للهواء اسمر وغلظ قوامه طعمه حريف لذاع ورائحة كرائحة التبغ وهي شديدة مهيجة حتى اذا وقعت نقطة منه في عرفة صار النفس فيها عديراً من البخار المنتشر في هوائها من تلك النقطة

ومقدار النيكوتين في اوراق التبغ يختلف كثيراً بحسب اختلاف صنوه وهو اقل في التبغ الشرقي منه في التبغ الاميركي وفي الرقيق الورق منه في الثخين وفي التبغ المنخر منه في غير المنخر . واحراق التبغ العادي يزيل منه ثلاثة ارباع نيكوتينه فيبقي ربعه في الدخان . واذا احرق خمسة الآف غرام من التبغ لم يكن في دخانها سوى ثلاثة غرامات من النيكوتين . وفي التبغ مواد اخرى غير ما ذكر وغير النيكوتين بعضها بطير حينما يحرق وبعضها بلصق بالبحر وقصبته اريدوب في ماء النارجيلة . ومن المواد التي تطير مع الدخان والنيكوتين الحامض الهيدروسيانك والاكسيد الكريونيك وهما سامان ناقمان ولكن منارها قليل . وبذلك يعلل ما يصيب بعض الناس اذا افاموا زماناً في حجرة كثر دخان التبغ فيها ولو لم يدخلوا شيئاً منه او اذا اكلوا طعاماً كان في تلك الحجرة فانهم اذا لم يكونوا من مدخني

الشيخ فقد تسم ابدانهم بالسموم التي كانت منتشرة في هواء الحجرة من دخان التبغ وقد ثبت بالامتحان ان التبغ سام مثل كثير من النباتات السامة ونفاخته تنقل الحيوانات وتبدو عليها قبل موتها الاعراض التي تبدو على بعض الناس اذا شموا به . وقد شاهد الاطباء كثيرين اكلوا اوراقه او شربوا ماء آينته خطاه او جوالاً ورعونة فسموا وماتوا بعد ان ظهرت فيهم اعراض السم التي تصيب الحيران اذا جرّح قاعة التبغ . ولكن اكثر عروس السم به من استعاله طباً للعلاج او من اعطائه للانسان غيلة بقصد الابتاع به . ونظمان من النيكوتين تنقلان كلياً وثماني نقط تنقل فرساً في اربع دقائق فهو من اقوى السموم المعروفة على ما حفته الشهبير كلود برنار ولكن الجسم بعناده سريعاً فلا يعود بفعل به كما ثبت بالامتحان فان بعضهم حن حين انا بجزءه من اربعة وعشرين جزءاً من التخمعة ففعل به فعلاً واضحاً وحفته في اليوم التالي بما يساوي ذلك فلم يفعل به شيئاً وزاد الحننة حتى بلغت قسمة كاملة قبلما فعل به كما فعل في اليوم الاول . وليس ذلك خاصاً بالنيكوتين فان سموماً كثيرة بعنادهما البدن فلا تعود تؤثر فيه تأثيراً شديداً . اما المسموم بالنيكوتين فيشعر بحرقه شديدة في معدته ويزيد تنفسه ويضعف نيطة وبصية في الامهال واعماله ويصفر وجهه وينفطى جسمه بالعرق البارد وتضطرب افكاره وتشيخ اعضاؤه وبصية فالج ويموت بالاغواء واذا لم يمتهل تغلب بدنه على السم اصابه من جراته صداع وضعف شديدان واضطرب هضمه ولم تعد اليه صحته الا بعد مدة طويلة . ولكن الانسجام بالتبغ الى هذه الحد نادر فلا تطيل الكلام فيه بل نعود الى الكلام على فعل التبغ العادي سواء استعمل سعوطاً او دخن تدخيناً

اما السعوط ففعله الاول العطاس ثم بعناده الغشاء النخاعي فيصير يئسث به ورائحته العطرة ثم يغاز هذا الغشاء وتضعف قرة شموا اذا افط الانسان في استعمال السعوط وقد يلتهب ويتصل الالتهاب منه الى الخلتوم فيكون سبباً للمعال . وقد قيل ان السعوط يؤدي الى الطرش وتولد الترام في الاثف الا ان ذلك غير مثبت وان ثبت فهو نادر جداً لا يبي عليه حكم . وقد يصيب الذين يدمنون استعماله شيء من النمل في ايديهم وذلك نادر ايضاً لا يعبا به وذكر بعضهم ان واحداً اصيب بالام النورادي الهيت بسبب السعوط ولكن لم يذكر غيره ذلك . الا ان العادة حكمت باستباح الاستعاط ولا مرداً لحكمها ولا استئناف منه ولذلك نندر مشاهدة المستعطين الا بين الشيوخ او من جرى مجرام .

أما التدخين فقد ادعى أصداده أنه يضر الصحة ويضعف العقل . والدعوى الأولى لا تخلو من الصحة . فأول ما يدخل التبغ ينشأ عنه جشاء وفيه صداع ودوار أشبه بالدوار البحري كأن المدخن سمّ بالتبكيوتين . ولكن هذه الأعراض تزول سريعاً ويستاد المدخن التبغ فلا يعود يتأثر به

ويقال بنوع عام أن التبغ يضعف القابلية للطعام ويزيل ألم الجوع . ويزيد ميل النفس إليه بعد الأكل وهناك أكبر لذة يجدها المدخنون وبعضهم لا يهضم الطعام جيداً ما لم يدخن بعد تناوله . ولكن البعض الآخر يسهو هضمه بسبب الدخان . والعصبيون وارباب المناصب الذين تدعوهم مناصبهم إلى السكون وقلة الرياضة تضعف قابليتهم للطعام إذا اعتادوا التدخين قبله ويصابون بالآلام معدبة . وأكثر المترطين في التدخين مصاب بسوء الهضم ولعل ذلك ناتج من زيادة إفراز اللعاب وقلة إفراز العصارة المعدية وإضعاف فعل المعدة نفسها

ويتلو فعل التبغ بالمعدة فعلة بأعضاء التنفس والقلب . فالتهاب الحلقوم الحبيبي شائع بين الذين ادمنوا التدخين وهو سبب المعال الجاف الذي يصابون به . وقد يصيب المدخنين نوع من الربو ولكنه نادر . وأكثره علة القلب فقد قال بعض الأطباء أن ربع المدخنين مصاب بالحنقان وعدم انتظام النبض إلا أن الدكتور روشار ارتاب في ذلك وقال أنه لم يشاهد شخصاً واحداً أصيب بالحنقان أو عدم انتظام النبض بسبب التدخين ولكنه شاهدهم وكثيرون من الأطباء حوادث الألم الفترادي أو نترانجيا التلب في كثيرين من الذين يستنشون هواءً مشحوناً بدخان التبغ أو بغيره زماناً طويلاً ومن الذين يبلعون الدخان . ونوب هذا المرض الذريع تكون في أول الأمر خفيفة ثم تشتد وطأها حتى تُورِد المصاب حنته . وشاهد ذلك كثيرة وهذا أحد الآفات الحاصلة من دخان التبغ وهو ليس بالأمر الطفيف الذي لا يعاب به . فإذا شعر الإنسان أنه ميال إلى هذا الداء وجب عليه أن يبطل التبغ حالاً مهما كلفته إبطاله من المشقة

ثم إن الذين يستعملون القصبه في التدخين قد يصيبهم سرطان الشفة واللسان أو يقتصر الأمر على تواد قشرة قرنية عليها . وفي منظرها ومنظر السرطان الشنيع ما يجعل المدخنين على ترك التدخين ولكن حدوثها قليل كما لا يخفى فلم نشاهد إلا رجلين من المصايين بها وقد زعم البعض أن التبغ يقلل النسل ولكن الواقع لا يؤيد ذلك فإن الجرمانيين يدخنون مضاعف ما يدخنه الفرنسيون وأولادهم أكثر من أولاد الفرنسيين . ومن المؤكد

ان المدخنين قد يصابون بنوع من ضعف البصر (الامبليويا) وهذا الضعف يزول حالما يبتلون التدخين ثم يعاودهم حالما يعودون اليه دلالة على انه حاصل عنه لا محالة ولكنه نادر جداً . اما بنية الامراض والادوية التي تصيب المدخنين فلا دليل على انها حادثة عن التدخين فلا تطيل الكلام بذكرها

هذا من قبيل النعل الجسدي اما النعل العقلي فيقال فيه ان اقوى التهم التي اُتت بها الشيخ هي انه يضعف الذاكرة الا ان الدكتور روشار ينكر ذلك بدليل ان الجرمانيين يدخنون اكثر من الفرنسيين وهم ليسوا دون امة من امة ام اوربا ذكاء وذاكرة وقال ان الذين ضعفوا ذاكرتهم وعجزوا الضعف الى الشيخ لو آمن النظر في امرهم لوجدنا هذا الضعف سببه الشيخوخة . هذا ما قاله الدكتور روشار ولكننا اذا صدقنا قول الاب ميانيو وغيره من الثقات حكمنا بان الشيخ يضعف ذاكرة الذين شيوا على غير التعود عليهم ثم اعتادوه بعد اكتسابهم . ومما يمكن من الامر فليس من الحكمة المبالغة في مضار الشيخ والغلو فيها نحوينا للناس منه وترهيباً فانهم اذا لم يروا مضر او اذا رأوا مضارة اقل مما عجزى اليه لم يصدقوا كلمة مما قيل في ذمه فعلى من يريد نصح الكبار لكي يفلحوا عن التدخين والصفار لكي لا يعتادوا ان يذكر لم المضار كما هي حقيقة بلا غلو ولا مبالغة ويزرز قوله بالادلة والشاهد فانهم يضطرون حينئذ ان يدعئوا للحق والحق يقوى ولا يقوى عليه

هذا اذا نظرنا الى المسألة من وجهها العلمي اما اذا نظرنا اليها من وجهها الفلسفي وقننا حبارى ولاسيا اذا كنا من الذين لم يمتاحوا التدخين فان الشيخ مضر بالصحة مثلثة للمال متعب في الامتعال فاعلم مدخني وما الباعث على تدخينه . قيل ان الباعث القدوة في اول الامر ثم يسمو الانسان عليه بحكم العادة فان الفتى اذا بلغ الخامسة عشرة رغب في الشبه بالرجال وهو يراه يدخنون ويرى التدخين محظوراً على الصغار فتتوق نفسه الى ما ينتقل به من مصائبهم الى مصاف الكبار فلا يستطيع ان يني لحينه وشاربيه ولكنه يستطيع ان يضع سيكارة في فمه ولو خسة فيفعل . هذا هو الداعي الاوّل الى التدخين ثم متى ألب الجسم الدخان اعتادته الاعصاب كما اعتاد الانيون والاكحول وصارت تنظر فعلة انتظاراً كما تنظر المعة الطعام والمثقة النوم ولولا فعل الشيخ بالاعصاب ما ربح اعتياده في الطبع هذا الرسوخ

وقال الكونت تلستوي الكاتب الروسي الشهير ان في الانسان جوهرين روحيين احدهما صالح والآخر طالح . وثان الطالح منها استخدام جميع الوسائط والاساليب لتسكين فعل

الجوهر الصالح الذي يؤنب على الخطأ ويحذر من الشر وقد وجد في التبغ مسكناً لفعل
الجوهر الصالح كما وجد في المسكرات وفي الخشيش والافيون فعلةته الذنس . وقد يصدق هذا
القول على المسكرات فان الانسان قد يسكر نمكيناً بصوت ضميمه وقد يستعمل الافيون
والخشيش تخلصاً من اعتال البال ولكنة لا يستعمل التدخين هذه الغاية . وقيل غير ذلك
في سبب تلك هذه العادة ولكننا نرى القول الاول اقربها الى الصواب

واعتياد التبغ اقل ضرراً من اعتياد بقية المنبهات والمخدرات كالمسكرات والافيون
والخشيش ويسهل على معناه ان يتركه بخلاف معتاد تلك فانه يمدد عليه تركها . اما
من جهة الضرر فمضار المسكرات والافيون والخشيش تفوق الوصف جسدياً وعتلاً ومالاً
وأدبياً فان صرعى الكاس بعدون بمئات الالوف والذين ساءت صحتهم او اختلت عقولهم او
ضاعت امولهم او فسدت آدابهم بسبب المسكر بعدون بالملايين وما من شرٍ انتشر انتشار
المسكر او اضر بنوع الانسان مثله . وما يقال فيه يقال في الافيون والخشيش ولو كانا
غير منتشرين حتى الآن انتشاره . واما التبغ فاضاره محصورة في ما تقدم . ويقول
المدخنون انهم يمدون فيولذة وفكاهة وراحة توازي المضار او تزيد عليها وهب انهم
مخطئون في حكمهم فليس من العدل ان ينسب اليه مضار غير ناتجة عنه ولا ان يرشق بكل
ما يعزى المدخنين من الادواء الجسدية والعقلية سواء كانت خلقية او مكتسبة وسواء
كانت ناتجة عنه او عن غيره ولا ان يبالغ في المضار الناتجة عنه حقيقة

وترك التدخين ليس بالامر الصعب على اكثر المدخنين ولو كان عميراً على نفر منهم
وشاهد ذلك يراها كل احد حيلة ولا سيما في هذه السنين التي كثر فيها عدد الذين كانوا
معتادين التبغ ثم تركوه . واما ترك المسكرات عند من ادمنها وترك الافيون او الخشيش
عند من اعتادها فامر نادر جداً او غير واقع على الاطلاق فاذا ظهر من التدخين ضرر لم
يتعدر على المدخن تركه

والخلاصة ان مضار التبغ غير كثيرة ولا يحسن المبالغة فيها اغراء للناس على تركه لان
هذه المبالغة ظاهرة البطلان ولكن يجب ذكر المضار كما هي واجتنابها حالما يظهر انه يضر
بالمدخن ومنع الصغار عن تعودهم لانه مضرٌ لهم حتماً . وحذا لو امتنعت النساء عنه ايضا
فانه يضرهن اكثر مما يضر بالرجال فوق ما فيه من الفدارة